مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

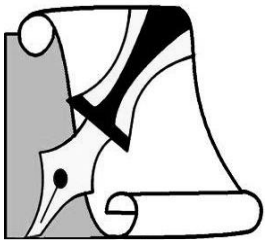

باحث للدراسات

الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

المأزق الإسرائيلي في الأزمة الأوكرانية

1 – مدخل:

يعود تاريخ الصراع بين روسيا وأوكرانيا إلى العصور الوسطى. وقبل ذلك، تشارك البلدان الأصول نفسها التي تعود إلى دولة روسيا الكييفية، وهذا هو السبب في إشارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى البلدين بأنهما كيان واحد. لكن برغم هذا التاريخ المشترك، كان لكل بلد منهما مسار مختلف عن الآخر ساهم على مرّ القرون في تشكل لغتين وثقافتين مختلفتين. وعندما تطوّرت روسيا سياسيًا لتصبح امبراطورية واحدة، كانت أوكرانيا غير قادرة على إنشاء دولة قائمة بذاتها. وفي القرن السابع عشر، باتت أراض شاسعة تابعة لما يُعرف اليوم بأوكرانيا جزءًا من الإمبراطورية الروسية. وبعد تفكّك الإمبراطورية في سنة 1917، شهدت البلاد فترة استقلال قصيرة قبل أن تنتهي مع صعود الاتحاد السوفيتي واستعادته لهذا المجال بالقوة.

في كانون الأول/ ديسمبر 1991، وقّعت أوكرانيا وروسيا وروسيا البيضاء اتفاقًا حُلّ في أعقابه الاتحاد السوفيتي بشكل فعال. وكانت موسكو في تلك الفترة حريصة على الحفاظ على نفوذها في المنطقة فاستخدمت رابطة الدول المستقلة التي تأسست في الفترة ذاتها كأداةً لتحقيق مبتغاها. واعتقد الكرملين آنذاك أن إمدادات الغاز الرخيصة

ستُبقي أوكرانيا في تبعية لروسيا. لكن المعطيات تغيرت بشكل مختلف تمامًا. فبينما شكلت روسيا وبيلاروسيا تحالفًا وثيقًا، تقرّبت أوكرانيا أكثر فأكثر من دول الغرب.

لم يفت هذا الأمر روسيا، بيد أنه لم يكن سببًا كافيًا لإثارة خلاف بين البلدين خلال التسعينيات حين بدت موسكو غير مهتمة بهذا التقارب لأن الغرب لم يكن لديه نوايا بدمج أوكرانيا في مجال نفوذه. كما كانت روسيا منهكة اقتصاديًا وملزمةً عسكريًا بالحروب التي تخوضها في الشيشان.

في سنة 1997، وقّعت روسيا وأوكرانيا معاهدة الصداقة والشراكة التي تعرف باسم "المعاهدة الكبرى". وبموجب هذه الاتفاقية، اعترفت موسكو بالحدود الرسمية لأوكرانيا، بما في ذلك شبه جزيرة القرم، موطن أغلبية إثنية روسية. وحدثت أول أزمة دبلوماسية كبيرة بين الجانبين مع تولي فلاديمير بوتين سدة الحكم في روسيا. ففي خريف سنة 2003، بدأت روسيا بشكل غير متوقع بناء سد في مضيق كيرتش بالقرب من جزيرة توزلا الأوكرانية. وقد اعتبرت كييف هذه الخطوة محاولة من قبل روسيا لإعادة رسم الحدود الوطنية، ولم يتحول الامر الى نزاع إلا بعد أن عقد الرئيسان اجتماعًا مباشرًا. على إثر ذلك، تم إيقاف أعمال بناء السد، لكن ذلك لم يمنع ظهور المزيد من الخلافات التي طغت على العلاقات الودية بين البلدين.

تصاعد التوتر بين البلدين خلال الانتخابات الرئاسية لسنة 2004 في أوكرانيا، لاسيما بعد أن دعمت موسكو المرشح المؤيد لروسيا فيكتور يانوكوفيتش. لكن منعته ما سميت بـ "ثورة البرتقال" في البلاد من البقاء في المنصب. وبرغم التشكيك في

مصداقية الانتخابات ونزاهتها، تمكن المرشح المؤيد للغرب فيكتور يانوكوفيتش من الفوز بالرئاسة. وقد استجابت روسيا لذلك عن طريق قطع شحنات الغاز إلى أوكرانيا خلال مناسبتين، في 2006 و2009، كما أوقفت الشحنات المتجهة إلى الاتحاد الأوروبي.

في سنة 2008، حثّ الرئيس الأمريكي جورج بوش أوكرانيا وجورجيا على بدء عملية الانضمام إلى حلف الناتو، برغم معارضة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي لم تكن حكومته قد وافقت بعد على حصول أوكرانيا على استقلالها بالكامل. وأحبطت ألمانيا وفرنسا خطة بوش في قمة الناتو التي عقدت في بوخارست برومانيا، حيث تمت مناقشة مقترح الانضمام من دون تحديد موعد لبدء المفاوضات. ونظرا لأن الأمور لم تسر كما هو مخطط لها مع مسألة الانضمام إلى الناتو، حاولت أوكرانيا مرة أخرى تعزيز علاقاتها مع الغرب من خلال إبرام اتفاقية شراكة مع الاتحاد الأوروبي. لكن في صيف سنة 2013، قبل بضعة أشهر فقط من التوقيع الرسمي على الوثيقة، سلطت موسكو على كييف ضغوطا اقتصادية هائلة أجبرت حكومة الرئيس آنذاك يانوكوفيتش على تجميد الاتفاق. كما فرضت حظرا على البضائع الأوكرانية المتجهة إلى روسيا، مما أثار احتجاجات ضخمة في جميع أنحاء البلاد. وخلال شهر شباط/ فبراير من السنة التالية، فرّ رئيس أوكرانيا إلى روسيا.

استفاد الكرملين من الفراغ في السلطة في كييف لضم شبه جزيرة القرم خلال شهر آذار/ مارس 2014. وقد شكلت تلك الخطوة نقطة تحول في العلاقات بين البلدين

وبداية الحرب غير المعلنة بينهما. في هذه الأثناء، بدأت القوات شبه العسكرية الروسية في التعبئة من أجل تنظيم انتفاضة في منطقة دونباس الشرقية الأوكرانية وإنشاء ما يسمى بـ "الجمهورية الشعبية" بقيادة روسيا أو بالأحرى شبه دول في منطقتي دونيتسك ولوهانسك. انتظرت الحكومة في كييف انتهاء الانتخابات الرئاسية في شهر أيار/ مايو من سنة 2014 لإطلاق هجوم عسكري كبير، أطلقت عليه اسم "عملية مكافحة الإرهاب." وفي حزيران/ يونيو 2014، التقى الرئيس الأوكراني المنتخب حديثًا بترو بوروشنكو مع نظيره الروسي فلاديمير بوتين على هامش الذكرى السبعين لإنزال النورماندي. وقد أجري الاجتماع، الذي سيُعرف لاحقا باسم محادثات تنسيق نورماندي، بوساطة ألمانية وفرنسية. في الوقت ذاته تقريبا، تمكن الجيش الأوكراني من التصدي للانفصاليين، قبل تدخل روسيا عسكريا على نطاق واسع في نهاية آب/ أغسطس، بحسب كييف، إلا أن موسكو نفت ذلك. عانت الوحدات الأوكرانية المتمركزة بالقرب من إلوفيسك شرق دونيتسك من هزيمة شنيعة مثلت نقطة تحول في الحرب. انتهت الحرب في أيلول/ سبتمبر بتوقيع اتفاق وقف إطلاق النار في مينسك. تبع ذلك حرب استنزاف تواصلت حتى يومنا هذا. وفي أوائل سنة 2015، أطلق الانفصاليون هجوما مرة أخرى بدعم من القوات الروسية التي أزالت قبل القتال كل المؤشرات التي تكشف هويتها، وذلك حسبما صرحت به كييف. لكن موسكو أنكرت هذه المزاعم.

وتكبّدت القوات الأوكرانية هزيمة ثانية هذه المرة بالقرب من مدينة ديبالتسيفي الاستراتيجية لتُجبر على الانسحاب. وقد تمخض عن الوساطة الغربية ما عرف لاحقا باسم "بروتوكول مينسك"، وهو اتفاق مثل أساس جهود السلام بين البلدين وكانت آخر مرة لاح فيها بصيص أمل في الأفق في خريف 2019، عندما انسحب بعض القوات من الخطوط الأمامية لكلا الجانبين. لكن قمة نورماندي التي عقدت في باريس في كانون الأول/ ديسمبر 2019 كانت آخر مرة جلس فيها الجانبان على طاولة المفاوضات.

في الوقت الحالي، ليس للرئيس الروسي أي مصلحة في الاجتماع وجها لوجه مع نظيره الأوكراني فولوديمير أولكساندروفيتش زيلينسكي لأن موسكو تعتبر أن كييف لم تلتزم ببنود اتفاقيات مينسك. ولا يزال بوتين يطالب بعدم ضم الولايات المتحدة أوكرانيا إلى حلف الناتو وعدم تزويدها بأي مساعدة عسكرية. لكن الناتو رفض هذا الطلب بشكل قاطع.

تعود بداية الأزمة الحالية بين روسيا واوكرانيا إلى 21 تشرين الثاني 2013 عندما أوقف الرئيس الأوكراني الموالي لروسيا في ذلك الوقت فيكتور يانوكوفيتش الاستعدادات لتنفيذ اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، وتبع هذا الإيقاف تظاهرات واحتجاجات واسعة النطاق، وصدامات بين التنظيمات الانفصالية والقوات الحكومية الأوكرانية، في العاصمة الأوكرانية، وتفاقم الوضع أكثر في المناطق الشرقية والجنوبية المحاذية لروسيا، وما يميّز هذه المناطق، أن الغالبية من سكانها تتحدث

اللغة الروسية، وداعمة للرئيس يانوكوفيتش. ومع اشتداد الاحتجاجات من قِبل معارضي قرار الرئيس، وتحولها إلى ثورة كبيرة أدت إلى عزل الرئيس في 22 شباط 2014 من قِبل البرلمان، وفراره، وتم تعيين رئيس برلمان أوكرانيا ألكساندر تورتشينوف بدلاً منه، ونتيجة لذلك سيطرت روسيا على شبه جزيرة القرم عام 2014 في واحدة من أكبر عمليات ضم الأراضي التي عاشتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وهي من المناطق التي كانت تتمتع بحكم ذاتي، وفرضت كنتيجة للوضع اتفاقات لوقف إطلاق النار، اعتبرتها أوكرانيا غير مناسِبة لها، كما نشبت حرب في أوبلاست دونيتسك ولوهانسك أوبلاست بين الانفصاليين الموالين لروسيا والحكومة الأوكرانية. وقد ردت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي بفرض عقوبات على روسيا نتيجة غزوها القرم، لكن العقوبات لم تترك أثراً فعلياً على الاقتصاد الروسي، فالاقتصاد الروسي بقي مستقراً، وقد أسهمت أسعار النفط في إبقاء الاقتصاد الروسي على ذلك، والأهم أن روسيا تعمل على امتلاك أداة ضغط قوية في السيطرة على سوق النفط وذلك من خلال سيطرتها على خط أنابيب "نورد ستريم 2" الذي يجعل ألمانيا تعتمد على الغاز الروسي؛ خاصة أن إجراءات بناء الخط تسير على قدم وساق رغم بعض الصعوبات. والحقيقة، أن نجاح روسيا على أرض المعركة لم يماثله نجاح دبلوماسي منذ ذلك الوقت، حيث تبين لاحقاً أن بروتوكول مينسك خاسر لكل من أوكرانيا وروسيا؛ فقد تراجع نفوذ روسيا بشكل مستمر منذ عام 2015 – مع احتفاظها بالأراضي التي سيطرت عليها – ووقّعت أوكرانيا اتفاق شراكة مع الاتحاد

الأوروبي عام 2014، وهذا يعني دخولها ضمن الإطار الأوروبي، وهو هدف أساسي لها، ثم سعت بشكل حثيث للانضمام إلى حلف شمال الأطلسي، ورغم أنها لم تنضم إليه بعد، فإن علاقاتها مع الحلف في تطور مستمر.

أما فيما يتعلق بأوكرانيا؛ فإنها لم تستعِد أراضيها، وفشلت العقوبات الأمريكية والأوروبية في دفع روسيا للانسحاب، وبقي الصراع صامتاً مستقراً ولم يتطور إلى مواجهة كبرى حتى اللحظة. وعلى الجانب العسكري، فإنه منذ سيطرة روسيا على شبه جزيرة القرم، تطوَّر أداء الجيشين الأوكراني والروسي كثيراً، مع تفوق نوعي وكمي لصالح روسيا. لكن النزاع الذي بقي مستقراً أو من النوع المحدود، بعد انحسار القتال في شرق أوكرانيا عام 2016، عاد ليصبح قابلاً للانفجار مع إعادة تموضع القوات العسكرية الروسية على الحدود المتاخمة لأوكرانيا والتي تتجاوز دورتها التدريبية المعتادة، وهو ما فسّره مراقبون كثيرون بأنه غزو عسكري وشيك، حيث تحركت القطاعات العسكرية الروسية لآلاف الكيلو مترات وبأعداد تصل إلى عشرات الآلاف إلى الحدود الأوكرانية وشبه جزيرة القرم.

على أية حال، فإن المعارك المستمرة منذ نشوء الصراع أدت إلى مقتل أكثر من 13 ألف شخص، وهو عدد كبير، لكنه سيكون ضئيلاً لو تحول الصراع إلى صراع شامل بين روسيا وأوكرانيا بشكل مباشر.

2 – المصالح الروسية في خطر:

اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية والناتو إلى توسيع نطاق نفوذهما في منطقة البحر الأسود. وفى المقابل، حاولت أوكرانيا استغلال هذه المساعي فى استقطاب الدعم الغربى في الإقليم لمواجهة روسيا، وكلا الموقفين السابقين يصطدمان بسياسة روسيا التى لا تسمح بالمساس بمصالحها الإقليمية الاستراتيجية وخاصة من قبل منافسيها. والقراءة الروسية لما يحصل تذهب في اتجاه أن مصالح روسيا في خطر لناحية ما يتعلق بالسياسات والسلوكيات التي تنتهجها أوكرانيا، وتتجسد المصالح والأهداف الروسية فيما يلي:

تسعى روسيا لإثبات نفسها بوصفها لاعباً جيوسياسياً وجيواستراتيجياً في منطقة لطالما اعتبرت ضمن المصالح الحيوية لروسيا أي أوكرانيا، وبالتالي إذا ما تم تهديد هذه المصالح بشكل فعلي؛ فإن روسيا قد تستخدم القوة لإجهاض هكذا محاولات، بما فيها غزو أوكرانيا رغم أن هذا لايزال عليه الكثير من القيود . وقد غيّرت روسيا من رؤيتها لمصالحها في أوكرانيا، وبالتالي خطوطها الحمراء، التي أصبحت ترى أن هذه الخطوط لم تعد تتناول عضوية أوكرانيا في الناتو فقط، بل مسألة التعاون الدفاعي المتزايد بين أوكرانيا والغرب الذي ترفضه موسكو بشكل كلي أيضاً.

تسعى روسيا إلى مراجعة الاتفاقات والتسويات التي تمت ما بعد الحرب الباردة، ومن ضمنها استعادة المنظومة الإقليمية ليكون لها دور في الأمن الأوروبي، وبالتالي تريد روسيا ضمانات غير مشروطة لأمنها اليوم ومستقبلاً، ولن تقبل بتمدد الناتو شرقاً ليشمل أوكرانيا كما قال بوتين. وفي هذا المجال تعتنق روسيا مبدأ أو عقيدة أن العالم

اليوم عالم متعدد الأقطاب، وأن عصر الأحادية القطبية قد انتهى، وبالتالي فإن التدخل أو الإدانة الأمريكية لضم روسيا لشبه جزيرة القرم والمعارك في شرق أوكرانيا وغيرها من السياسات الأمريكية هو تدخل في الشؤون الروسية الداخلية، حتى العقوبات الأمريكية فهي بالنسبة إلى روسيا غير شرعية. والتهديد المباشر الذي تخشاه روسيا هو توجه أوكرانيا نحو المؤسسات الأوروبية، ومطلبها الرئيس هو منع انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي الذي يضم 27 دولة في القارة، أو حلف شمال الأطلسي، أو حتى امتلاك بنية تحتية للناتو على أراضيها، حيث إن ذلك يعني أن أوكرانيا عضو في اتفاقية الدفاع المشترك الأوروبي، وبالتالي وجود قوات الحلف وقوات أوروبية على الحدود الروسية. أما الإطار الأبعد للمصالح الروسية فهو يتمثل في إعادة ربط الدول التي كانت تشكل في السابق الاتحاد السوفييتي قبل انهياره، لمنافسة الاتحاد الأوروبي بل والولايات المتحدة والصين أيضاً، ويعد ذلك أمناً استراتيجياً للجانب الروسي وخاصة للرئيس فلاديمير بوتين الذي يهدف إلى إبقاء أوكرانيا في الدائرة الاستراتيجية الروسية، ويعزز ذلك أن لدى روسيا روابط اجتماعية وثقافية واقتصادية قوية مع أوكرانيا –المصالح الأوكرانية:

ترتبط أوكرانيا بحدود مع دول في الاتحاد الأوروبي، وروسيا، وهذا الموقع الجغرافي إما أن يجعل منها أداة وصل بين روسيا وأوروبا وإما أداة عزل، وتاريخياً تمتعت أوكرانيا بعلاقات اجتماعية وثقافية كبيرة مع روسيا إذ إن أوكرانيا كانت جزءاً من الاتحاد السوفييتي السابق، ولذلك فاللغة الروسية تعد لغة التحدث على نطاق واسع،

لكنها منذ استقلالها بعد الحرب الباردة أصبحت ترنو إلى للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو. وعلى الرغم من أن البرنامج الانتخابي للرئيس الأوكراني زيلنسكي كان التعهد بالحوار والتفاوض مع روسيا، وحاول السير في النهج الدبلوماسي وتنفيذ اتفاقات مينسك الخاصة بمنطقة دونباس في جنوب شرق أوكرانيا، فإنه غيّر نهجه عام 2020 تحت ضغط الفوضى الداخلية، وزيادة النزعة القومية. كذلك لدى أوكرانيا هواجس متعددة من روسيا، ومنها خشيتها من احتلالها بشكل كامل، ولذلك تثير مخاوف الغرب من توسع روسيا، وتطالبه بفرض العقوبات على روسيا، وأن هذه العقوبات ستسهم في إضعاف روسيا وبالتالي مواجهتها لصراعات قومية واجتماعية داخلية وانشغالها بها، وقد يسهل لها ذلك ربما استرجاع القرم ودونباس.

ولدى أوكرانيا مطالب تتعلق بحرية الملاحة، بعد واقعة احتجاز روسيا ثلاث سفن تابعة للبحرية الأوكرانية وطواقمها، بحجة دخولها المياه الإقليمية الروسية بشكل غير قانوني، وبالتالي تستهدف روسيا السفن الأوكرانية في بحر آزوف وتفرض شروطاً على دخول السفن، وهذا يجعلها تسيطر عملياً على منطقة بحر آزوف وبالتالي قدرتها على محاصرة مدينة ماريوبول، لكن لروسيا وجهة نظر مختلفة وهي أن السفن تشكل استفزازاً لها ومرورها غير قانوني.

تهدف أوكرانيا الانضمام إلى عضوية منظمة حلف شمال الأطلسي، والاتحاد الأوروبي، وترى أن مستقبلها مع الأوروبيين، فانضمامها للاتحاد سيوفر لها الكثير

من المزايا الاقتصادية التي يقدمها الاتحاد الأوروبي، أما الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي فيوفر لها المظلة الأمنية وحماية وجودها، وحتى التفاوض مع روسيا بخصوص نزاع دونباس وغيره – وربما هذه نقطة الخلاف الأهم مع روسيا التي ترى بأن ذلك تهديد استراتيجي لأمنها القومي – ويضعفها جيواستراتيجياً وويضعفها أيضاً من حيث محددات الجغرافيا السياسية، أي إن الناتو سيكون على أبواب روسيا.

3 – الدور الأمريكي في الأزمة:

تبدو العلاقات الروسية – الأمريكية تسير على خيط مشدود، فمن جهة تسعى الولايات المتحدة وروسيا لإيجاد شكل من أشكال الاستقرار الاستراتيجي بينهما، حيث اجتمع الرئيسان بوتين وبايدن أكثر من مرة، ضمن جهود مستمرة لإقامة علاقة مستقرة، ومن جهة أخرى هناك الكثير من الملفات الخلافية، ومنها على وجه الخصوص أزمة أوكرانيا، وأزمة الهجرة على حدود بيلاروسيا والاشتباكات بين أرمينيا وأذربيجان، بل إنه، مؤخراً، تم طرد 10 دبلوماسيين روس كعقوبات ضد روسيا بسبب تدخلها في الانتخابات الأمريكية وبسبب هجمات إلكترونية شنتها روسيا ويمكن إجمال الدور الأمريكي ومتغيراته في ما يلي:

عززت الولايات المتحدة وبريطانيا وبقية دول الناتو شراكاتها مع أوكرانيا، وزودت الولايات المتحدة الجيش الأوكراني بأسلحة أمريكية. ويُعَدُّ الصراع في أوكرانيا من أبرز مظاهر الخلاف بين روسيا والولايات المتحدة، ولذلك يعد البحث عن حلول أولوية

ضرورية لإيجاد تسوية، بدلاً من خروج الأمر عن السيطرة، وهذا يطرح وجوب إبقاء باب المفاوضات مفتوحاً مع موسكو.

هناك تراجع في قدرة الردع الأمريكي بسبب الحروب التي خاضتها في الشرق الأوسط ومناطق أخرى في العالم وهذا يفرض عليها رؤية محسوبة للوضع في أوكرانيا، فقد أظهرت الحرب السورية أن الولايات المتحدة تراجعت عن أهدافها المعلنة والمتمثلة في رحيل الأسد، ولم تبدِ أي مقاومة فعلياً للوجود الروسي في سوريا، بل إن الفرصة كانت متاحة أمام روسيا للتوسع في الشرق الاوسط وتعزيز نفوذها هناك، كذلك الأمر تكرر في الانسحاب الأمريكي الفوضوي من أفغانستان، ثم الزوبعة التي أوجدها اتفاق الغواصات (أوكوس) بين الولايات المتحدة وأستراليا، والمتمثلة بالغضب الفرنسي بسبب إقصائها من الصفقة، وهذا يؤشر على مشكلة في التنسيق بين أطراف التحالف الأطلسي. والحقيقة إن الأدوار المتوقعة من الموقف الأمريكي تدور في النقاط الآتية:

في بعض الأحيان ترغب الولايات المتحدة أن يكون موقفها من أوكرانيا حاسماً، وقد تستعد لاحتمالية الحرب، ومن ضمن خياراتها التنسيق الاحترازي مع حلفائها الأوروبيين، وإرسال رسائل حاسمة لروسيا فيما يتعلق بالعواقب التي قد تترتب على روسيا، ومن ضمنها رفع الكلفة الاقتصادية والسياسية والعسكرية على روسيا، بهدف تقليص خيار الحرب وليست رغبة في الحرب، ولدى الولايات المتحدة تجربة فاشلة وإخفاق في تشكيل رد فعل منظم بعد خسارة أوكرانيا القرم عام 2014، ولم تتحرك

الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فعلياً بفرض العقوبات إلا بعد إسقاط الانفصاليين الأوكرانيين طائرة مدنية في تموز عام 2014.

تملك الولايات المتحدة الأمريكية خيارات أخرى غير معلنة، وبعيدة عن الإعلام وربما هذه الخيارات قد تؤدي إلى تسوية سياسية ما للأزمة مثل وقف نشر صواريخ الناتو الهجومية مقابل احترام وحدة أوكرانيا وسيادتها أو تكثيف الدعم العسكري للجيش الأوكراني بتزويده بأسلحة نوعية، وهذه أساسها موقف أمريكي داعم لسيادة أوكرانيا على أراضيها، ووضع خطوط حمراء فيما يتعلق بأي غزو وشيك.

قد تقوم الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي برفع مستويات التأهب لقواتهما المسلحة كجزء من الضغط على روسيا لمنعها من الهجوم على أوكرانيا، وفعلياً؛ فقد تم نشر قوات الناتو على طول الحدود مع بيلاروسيا أيضاً.

على الأرجح ستزيد المساعدات العسكرية الأمريكية والأوروبية، بدلاً من الدخول في مواجهة عسكرية مفتوحة مع روسيا، وبذلك سيتلقى الجيش الأوكراني دعماً حقيقياً من الغرب، وقد تكون روسيا غير قادرة على وقف هذه الإمدادات، فقد أعلنت الإدارة الأمريكية رغبتها في تطوير البحرية الأوكرانية وزيادة تسليح أوكرانيا وتدريب قواتها العسكرية، وفعلياً أرسلت الولايات المتحدة صواريخ "جافلين" الأمريكية المضادة للدبابات إلى أوكرانيا وسلّمت البحرية زورقي خفر سواحل أمريكيين، وليست الولايات المتحدة الداعم لها فقط، بل شرعت بريطانيا في بناء قاعدتين بحريتين لأوكرانيا كذلك .

من المؤكد أن الولايات المتحدة ستلجأ إلى عقوبات قوية في حال الهجوم الروسي على أوكرانيا، وستكون ضمن جهد دولي سواء عبر مجموعة السبع (تضم المملكة المتحدة، الولايات المتحدة، فرنسا، إيطاليا، وألمانيا، اليابان، وكندا) أو غيرها من الهياكل الدولية الأخرى.

الخيار الذي تفضله الولايات المتحدة هو العمل الدبلوماسي، وإنهاء النزاع في دونباس وفقاً لاتفاقات مينسك بدعم صيغة النورماندي، وقد طرحت الولايات المتحدة الأمريكية عام 2019 إرسال قوات عسكرية أممية إلى دونباس، لكن روسيا رفضت الاقتراح بحجة أنها قد تعوق تطبيق اتفاقات مينسك، وأن روسيا تخشى من تحويل الولايات المتحدة وأوكرانيا البعثة الأممية إلى سلطة عسكرية سياسية تسيطر على أراضي جمهوريتي دونيتسك ولوهانسك المنفصلتين والمعلنتين من طرف واحد دولتين مستقلتين، وتقرر من سيتم انتخابه، وفي ضوء ما تطرحه الولايات المتحدة؛ فإن إرسال قوات عسكرية أمريكية لمواجهة روسيا هو خيار مستبعد، لكن قد تدفع الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي بالمزيد من القوات إلى دول الجناح الشرقي بالحلف لتعزيز دفاعاتها وقدراتها العسكرية.

تدرك الولايات المتحدة أن مطالب روسيا مطالب أمنية تريد التفاوض بشأنها مثل التزام الناتو بالتخلي عن أي نشاط عسكري في شرق أوروبا وأوكرانيا، ووقف نشر الناتو صواريخ هجومية قادرة على الوصول إلى مراكز القيادة والعمليات الروسية، ووقف تسليح أوكرانيا وغيرها، والأكثر من ذلك أن روسيا تطالب بمنحها حق استخدام

"الفيتو" على توسيع الناتو شرقاً، ومن غير المحتمل أن توافق الولايات المتحدة على ذلك.

4 – هل من حرب باردة جديدة؟

تذكر الأزمة الأوكرانية بالفعل بحقبة الحرب الباردة. وواشنطن أصبحت مدركة بشكل متزايد بأن السياسة الخارجية التي يعتمدها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تتعارض مع مصالحها. ويرى ديمون ويلسون نائب رئيس مجموعة الأبحاث "مجلس الأطلسي" أن "السياسة الخارجية الحالية للروس تقوم على استعادة بعض النفوذ والهيبة الروسية في العالم". وينتهج بوتين هذه الاستراتيجية عبر اختبار حدود التأثير الأميركي. والإدارة الأميركية لا تخفي أيضا انزعاجها من الطموحات الجيوسياسية التي عادت موسكو للعمل عليها، وهو موضوع حساس أساسا منذ حرب صيف 2008 في جورجيا، الدولة التي أرادت الخروج من فلك سياسة موسكو. وبوتين وبعد ثلاث سنوات من التهدئة النسبية مع واشنطن خلال فترة تولي ديمتري ميدفيديف السلطة، وضع حدا لهذه السياسة الهادئة بعيد عودته إلى الكرملين. ويبدو أن روسيا تتجه مجددا إلى الصراع على كل ملف. وبالتالي فالحرب الباردة الثانية ليست مستبعدة.

من الصعب تكهن ما ستؤول إليه الأمور. لكن وصول قادة متمسكين في المقام الأول بربط مستقبلهم بأوروبا وليس بروسيا، يعتبر مشكلة جدية للرئيس فلاديمير بوتين الذي يحلم بإبقاء أوكرانيا في فلك روسيا. وللتأثير على سياسة أوكرانيا تملك روسيا وسائل

عدة بحكم الروابط القوية جدا بين اقتصادي البلدين. وكانت روسيا هددت بأنها ستزيد الرسوم الجمركية على المنتجات الواردة من أوكرانيا إن اقتربت كييف من الاتحاد الأوروبي. كذلك أدانت موسكو التدابير المعادية لروسيا التي اتخذتها السلطات الجديدة في كييف، كما أدانت المنحى "الدكتاتوري والأساليب الإرهابية" في أوكرانيا. وأول نتيجة لتغيير الحكم في كييف ستكون على ما يبدو توقيع اتفاق مع الاتحاد الأوروبي والتخلي عن اتفاق التقارب مع موسكو الذي وقعه الرئيس المعزول فيكتور يانوكوفيتش. أما الرئيس الأوكراني بالوكالة ألكسندر تورتشينوف فأعلن أن الاندماج الأوروبي يشكل "أولوية" لأوكرانيا ودعا موسكو إلى احترام "الخيار الأوروبي" لأوكرانيا.

المعطيات الجديدة في أوكرانيا "البلد الشقيق لروسيا" بحسب تعبير لفلاديمير بوتين، ينهي حلم الرئيس الروسي بتشكيل اتحاد اقتصادي للدول التي كانت في بوتقة الاتحاد السوفياتي السابق، لمنافسة ليس فقط الاتحاد الأوروبي بل والولايات المتحدة والصين ايضا. وهذا المشروع الذي يعتبر من الأهداف الرئيسة للرئيس بوتين خلال سنوات حكمه الـ14 بحسب العديد من المراقبين، قد يجرد من معناه في غياب أوكرانيا التي تعد 46 مليون نسمة وتملك قدرات كبيرة زراعية وصناعية.

المؤشرات تدل على أن الأزمة ذاهبة إلى مزيد من التعقيد، والحلول تبدو أكثر تعقيدا، خاصة أن العالم برمته الآن موجود في الملعب الأوكراني، ولا أحد يمكنه أن يدعي استحواذه على الكرة.

5 – الأزمة الأوكرانية وأزمات الشرق الأوسط:

الهدف الأساسي لروسيا في سياق الأزمة هو الدفاع عن مصالحها الأمنية، ولكي تخدم هذا الغرض عمدت إلى إقامة علاقات دبلوماسية وثيقة مع الأطراف الرئيسة في المنطقة، لكن هذه الأطراف جميعها أصبحت أيضاً خاضعة لاحتمال أن يسبب لها الدور الروسي في الشرق الأوسط مشكلات. فالأحداث الأخيرة في الجوار المباشر لروسيا زادت التشابكات الدبلوماسية في الشرق الأوسط تعقيداً، وخلقت علاقة غير مباشرة بين الأزمة الأوكرانية وأزمات الشرق الأوسط. فبعد أن أصبحت أوكرانيا الشغل الشاغلَ لبوتين، فإنَّ احتمال أن يربط بين الأزمة الأوكرانية وأزمات الشرق الأوسط يتزايد، وإيران قد تلعب دوراً محورياً في هذا السيناريو.

في المقابل، فإن الأزمة الأوكرانية والملف النووي الإيراني يمثلان القضية ذات الأولوية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل، ويجب ملاحظة أنه في منظومة المصالح الأمنية لموسكو، تقوم الأولوية القصوى لها على العمل من أجل ألا تشتمل السياسات الداخلية للدول الـ14 التي تشاركها الحدود، على تهديدٍ المصالح الروسية، وربما الأهم من ذلك كله، ألا تمثل هذه الدول تهديداً لمصالح نظام بوتين . ومن ثم، فإن النزاع المستمر مع الولايات المتحدة حول أوكرانيا، والاحتجاجات التي اندلعت في أوائل يناير/كانون الثاني في كازاخستان، هما المسألتان اللتان تستحوذان حالياً على اهتمام موسكو. ومن هنا فإن الأحداث الأخيرة على حدود موسكو ستكون لها تداعياتٌ

على الشرق الأوسط، خاصةً احتمالات مقايضة موسكو بين مواقفها في الأزمة الأوكرانية وأزمات الشرق الأوسط. وبالفعل استدعت الأحداث في كازاخستان والأزمة الأوكرانية الانتباه من جميع الدول الرئيسة في المنطقة. وتتشارك إيران وسوريا وإسرائيل وتركيا، وكذلك دول الخليج العربية، في هذا السياق شيئاً واحداً: أنها تريد الحفاظ على العلاقات مع موسكو على نحو يُسهم في تعزيز نفوذ تلك الدول الدبلوماسي أو العسكري . فاحتجاجات كازاخستان والأزمة الأوكرانية وأزمات الشرق الأوسط تفرض اختبارات عسيرة حقاً على قدرة روسيا وأصدقائها على العمل معاً، كما أنها تطرح أمام بوتين اختباراً للتحقُّق من علاقته بكل طرف من هذه الأطراف ودرجة قوتها، لكن ذلك لا يعني التقليل من قدرة الرئيس الروسي على حفظ التوازن بين الأطراف المتناقضة ومراوغة عدة أزمات مشتعلة في وقت واحد.

في نوفمبر/تشرين الثاني 2021، أعادت روسيا عرضَ اقتراحها بشأن "مفهوم جماعي للأمن في منطقة الخليج" الذي سبق أن اقترحته ثلاث مرات من قبل، كان آخرها في عام 2019. وينطوي هذا الاقتراح على عرض من موسكو للوساطة بين الولايات المتحدة وإيران (وضمنياً، بين إسرائيل وإيران). وفي معرض ترويج الاقتراح الروسي، يقول فيتالي نومكين، الباحث البارز الذي شارك على ما يبدو، في صياغة مفهوم موسكو لأمن الخليج الجماعي، إن أطراف المنطقة "ضاقت ذرعاً بما يحدث فيها"، ووصلت الأوضاع فيها إلى "نوع من الجمود" الذي قد يفتح الباب أمام الدبلوماسية،

وأضاف نومكين في تصريحات لمجلة Newsweek الأمريكية: "لدينا تهديد مشترك واحد، وهو التهديد باندلاع الحرب."

المحرِّك الأساسي لروسيا هو المنطِق الجغرافي الاستراتيجي، فهي تستند في جزء أساسي من نفوذها إلى قدراتها القائمة على الاستعانة بالقوة العسكرية في علاقاتها مع الدول، لتقديم نفسها على أنها صانع السلام الطموح . ولأن هذا الدور يمنح روسيا نفوذاً لا يمكن أن تضاهيه واشنطن، فإن موسكو قد تحوز مكاسب كثيرة من هذا الدور بشرط ألا تؤدي مناوراتها الدبلوماسية إلى خسارة بعض هؤلاء الأصدقاء. وهكذا، جاء الدعم الروسي لإيران في أثناء محادثات الاتفاق النووي بفيينا، مصحوباً بالإعلان عن رغبتها في أن تُبدي طهران بعض المرونة في مطالبها. وبالمثل، في الشرق الأوسط نفسه، حرصت روسيا على أن تحتفظ إيران بقوتها النارية وقدرتها على توجيه الضربات مباشرة، أو من خلال وكلائها، إلى الولايات المتحدة [وحلفائها] وإسرائيل، وفي الوقت نفسه، حافظت على تفاهم مع إسرائيل يقضي بإعطاء الأخيرة التصريح الدبلوماسي، وكذلك المجال الجوي، اللازمَين لكي تستهدف تل أبيب أعداءها في سوريا كلما رأت تهديداً أو فرصة ناشئة. من اجل ذلك، ونتيجة لهذه التفاهمات، قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية مجمعاً لحاويات الأسلحة والذخائر في ميناء اللاذقية (توجد فيه لروسيا قاعدة بحرية) في 28 ديسمبر/كانون الأول الماضي، ولم يتبع ذلك أي انتقاد علني من موسكو لإسرائيل . وربما لم تكن مصادفة أن بوتين والرئيس الإسرائيلي، إسحاق هرتسوغ، قد تحدثا عبر الهاتف قبل أيام قليلة من

الحادث، وتطرقا في الحديث إلى آلية تفادي التضارب التي صاغتها روسيا وإسرائيل في عهد بنيامين نتنياهو، وأعادت الحكومة الإسرائيلية الجديدة تجديد الاتفاق عليها مع بوتين في أثناء زيارة نفتالي بينيت لسوتشي بروسيا في 22 أكتوبر/تشرين الأول 2021.

يبدو أن نجاح موسكو وشركائها في الشرق الأوسط في تحقيق التوازن بين مصالحهم المتضاربة يعتمد في جزء أساسي منه على قدرة روسيا على الحفاظ على حاجز يحول دون التداخل بين التهديدات الجيواستراتيجية التي تندلع في نطاقها القريب بالدول المجاورة والصراعات المتشابكة في منطقة الشرق الأوسط ذات المصالح الأمنية الحيوية بالنسبة إليها . ومع ذلك، فإن ما يجري في الواقع يبرهن على أن هذا الحاجز مليء بالثقوب التي تسمح بالتأثير المتبادل لهذه الأزمات على بعضها، لأن روسيا تعتبر وجودها في الشرق الأوسط – وفي سوريا على وجه الخصوص– أمراً حيوياً لمصالحها الاستراتيجية الأوسع نطاقاً.

6 – المخاوف الاسرائيلية:

قلصت الأزمة الأوكرانية هامش المناورة أمام "إسرائيل"، وباتت تهدد مصالحها "الاستراتيجية"، وتقلص قدرتها على التحرك في الحلبة الدولية. وذكرت مصادر "إسرائيلية" رسمية أنه في الوقت الذي طالبت فيه الولايات المتحدة، وأوروبا حكومة نتنياهو السابقة بالتعبير عن موقفها من الغزو الروسي لأوكرانيا، فإن صناع القرار في

تل أبيب خشوا من أن تؤدي مثل هذه الخطوة إلى تهديد العلاقات الاستراتيجية التي تربطهم بكل منهما.

ونقلت الإذاعة العبرية أن تعاوناً استراتيجياً، واستخبارياً، واقتصادياً مهما يربط تل أبيب بكل من موسكو وكييف، علاوة على وجود أعداد كبيرة من اليهود، والإسرائيليين في كلا البلدين. وأشارت المصادر إلى أن "إسرائيل" تخشى من أن يؤدي أي موقف "إسرائيلي" غير مدروس إلى ردة فعل غاضبة لدى كييف أو موسكو، أو كلاهما معاً. ونوهت المصادر إلى أن أي موقف تتخذه تل أبيب سيؤثر على اتجاهات المفاوضات الدائرة بين الغرب وإيران بشأن برنامج طهران النووي، وهي القضية التي تمثل أهم معضلة استراتيجية تعنى الحكومة الاسرائيلية بحلها حالياً. واستدركت المصادر أن خسارة تل أبيب في الأزمة الأوكرانية باتت مؤكدة على كل الأحوال في ظل استعصاء الأزمة على الحل، مشيرة إلى أن بوتين سينحو باتجاه اتخاذ أي قرار يرى أنه يمثل تحدياً للغرب، وضمن ذلك دعم إيران في برنامجها النووي. وفي السياق نفسه، أوضح معلق الشؤون الاستخبارية يوسي ميلمان أن خوف نتنياهو في السابق من قيام بوتين بدعم المشروع النووي الإيراني علناً نكاية بالغرب دفعه إلى الحرص على إطراء الزعيم الروسي في كل مناسبة ممكنة. وفي مقال نشره موقع "ذي بوست" نوه ميلمان إلى أن أكثر ما يقلق "إسرائيل" في الأزمة الأوكرانية حقيقة أنها مثلت دليلاً آخر على ضعف الولايات المتحدة وتراجع مكانتها، منوهاً إلى أنه كلما تواصلت الأزمة كلما تآكلت مكانة واشنطن أكثر. وأشار ميلمان إلى أنه على الرغم من الخلافات الشخصية بين

رئيس الوزراء "الإسرائيلي" السابق بنيامين نتنياهو والرئيس الأمريكي الاسبق باراك أوباما، إلا أن مصلحة "إسرائيل" الاستراتيجية تقتضي أن تحافظ الولايات المتحدة على مكانتها كالقطب الأبرز في العالم. ونقل ميلمان عن المفكر الأمريكي إيان بريمر قوله إن الأزمة الأوكرانية تحمل في طياتها تحولات جيواستراتيجية هي الأكبر منذ هجمات 11سبتمبر/ايلول 2001. وأشار ميلمان إلى أن قرار بوتين اجتياح شبه جزيرة القرم جاء نتاج إدراكه حجم الضعف الذي وصلت إليه الولايات المتحدة، وأن الغرب ليس فقط غير مستعد لاستخدام القوة العسكرية في ردع روسيا بل أيضاً غير قادر على التهديد بهذا الخيار. وفي سياق متصل، حذر زلمان شوفال السفير "الإسرائيلي" الأسبق في واشنطن من التداعيات الخطيرة للقرار الذي سبق للرئيس أوباما ان اتخذه بتقليص القوة العسكرية للولايات المتحدة. وفي مقال نشرته صحيفة "إسرائيل اليوم" حذر شوفال من أن القرار يعني أن الولايات المتحدة غير مستعدة لاستخدام القوة العسكرية في مواجهة البرنامج النووي الإيراني، مما يفرض تحديات على "إسرائيل" وحلفاء أمريكا الآخرين في المنطقة.

من ناحية أخرى أفاد تحليل نشره موقع "بريكنغ ديفنس" أن الأزمة الأوكرانية قد تؤثر على استراتيجة إسرائيل تجاه سوريا وإيران، خاصة وأن إسرائيل تعتمد على علاقات جيدة مع روسيا التي تسمح لها بالقيام بعملياتها في سوريا. وأوضح التحليل أنه في حال حصول الغزو الروسي لأوكرانيا، والتوترات المتوقعة مع الغرب، قد تتعقد العلاقات الإسرائيلية – الروسية، خاصة وأن الولايات المتحدة أكبر حليف لإسرائيل.

وأشار التحليل إلى أن "إسرائيل قد تجد نفسها في موقف حرج" فهي ترتبط بعلاقات قوية مع واشنطن، ولكنها في الوقت ذاته تحتاج إلى الحفاظ على علاقتها مع موسكو التي تسيطر إلى حد كبير على المجال الجوي في سوريا، حيث تجري إسرائيل ضربات عسكرية ضد المصالح الإيرانية. ولفت التقرير إلى أنه في حال فرض عقوبات واسعة على روسيا، سيتعين على إسرائيل أن توازن خطواتها، إذ إن أي إجراءات ضد روسيا قد تؤدي إلى عرقلة العمليات الإسرائيلية في سوريا، وهو ما تعتبره إسرائيل أمرا "حيويا لأمنها القومي". ونقل التحليل عن مصدر دفاعي إسرائيلي، لم يذكر اسمه، أن اجتماعات أمنية رفعية المستوى بحثت مؤخرا ما يمكن أن يحدث للعمليات العسكرية في سوريا في حال تغير العلاقات مع روسيا. كما تتخوف إسرائيل من خسارة الشركات الروسية التي تشتري منها منتجات "تكنولوجية" متطورة غير عسكرية. وترى إسرائيل أن الأزمة الأوكرانية أصبحت مصدرا للإلهاء خاصة في ظل ما يحصل من مفاوضات جديدة مع إيران تتعلق بالاتفاق النووي، حيث لا تؤيد إسرائيل أي صفقة من هذا النوع. وموسكو تعلم أن علاقتها مع إسرائيل هي إحدى النقاط الهامة التي قد تستخدمها للضغط على كل المحور الغربي، بحيث قد تصبح إسرائيل أداة ضغط على واشنطن. وإسرائيل قد تكون من المتضررين من الأزمة الروسية – الأوكرانية، خاصة وأن وقف التنسيق الأمني قد يكبد إسرائيل خطوات لم تكن في الحسبان، خاصة في ما يتعلق باستراتيجيتها تجاه المخاطر الإيرانية التي تهدد أمنها القومي.

لقد سعت الحكومات الإسرائيلية خلال الفترة الماضية إلى مسك العصا من الوسط وحافظت على المسافة نفسها تقريبا مع موسكو وكييف. وإسرائيل حاولت في أكثر من مرة أن تلعب دور الوسيط لرأب الصدع بين الجارين المتخاصمين، فخلال شهر أبريل/نيسان من العام الماضي طلب الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلنسكي، من رئيس الوزراء، آنذاك، بنيامين نتنياهو رعاية قمة روسية أوكرانية، وهو طلب رفضه الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين. وهذا الطلب تجدد مرة أخرى خلال شهر أكتوبر/تشرين الاول الماضي حين التقى رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينت، بالرئيس الروسي في سوتشي لكن الطلب جوبه بالصد ايضاً. وبالتالي فإسرائيل ستجد نفسها في وضع لا تحسد عليه خاصة وأنها الحليف الأبرز للولايات المتحدة، بحيث أن أي تصعيد روسي سترد عليه واشنطن بمزيد من العقوبات الإقتصادية، وبذلك ستضطر إسرائيل للمشاركة في فرض هذه العقوبات، الأمر الذي من شأنه أن يقطع حبل الود القائم مع موسكو.

7 – معادلة روسيا الصعبة مع اسرائيل:

أقامت إسرائيل علاقات دبلوماسية وثيقة مع أوكرانيا، وقد وقَّع الجانبان اتفاقية تجارية كبرى في يناير/كانون الثاني 2019، وتشير التقارير أيضاً إلى أن علاقاتهما العسكرية قد تطورت وأن الرئيس الأوكراني زيلينسكي، أبدى اهتماماً بشراء نظام القبة الحديدية الإسرائيلي المضاد للصواريخ، لكن المسؤولين الإسرائيليين أحجموا عن

الحديث في تفاصيل الأمر؛ لتجنب استعداء موسكو. ومع ذلك، يقول المسؤولون الإسرائيليون إن إسرائيل وروسيا بينهما تفاهم يقضي بألا تعزِّز إسرائيل روابطها العسكرية مع أوكرانيا، وفي المقابل، تحدُّ روسيا من مبيعات الأسلحة لإيران. وفي أواخر عام 2019، أكَّد مستشار لرئيس الحكومة الاسرائيلية السابق نتنياهو أن روسيا ألغت صفقة مقترحة لبيع صواريخ لإيران، وأن إسرائيل ردَّت بالتعهد مرتين بعدم بيع أسلحة لأوكرانيا. وقد تبادر روسيا بتزويد إيران بالسلاح إذا لم تحصل على ما تريده في أوكرانيا. لكن إذا فشلت روسيا وإدارة بايدن في الاتفاق على حلٍّ للأزمة في أوكرانيا، فقد تلجأ موسكو إلى تخفيف القيود التي تكبح بها جماح إيران، أو سحبِ الضغوط التي تمارسها لدفع طهران إلى تقديم تنازلات في المحادثات النووية بفيينا . والخلاصة من ذلك، أنَّ تفاقم الأزمة الأوكرانية ينطوي على تقويض للتوازن الثلاثي القائم بين روسيا وإسرائيل وإيران.

قد تعتمد خطوات تركيا وإسرائيل وإيران لإدارة العلاقات مع موسكو (والعكس بالعكس) في النهاية على مصير المحادثات الجارية بشأن أوكرانيا بين البيت الأبيض والكرملين. حيث تطالب روسيا بأن تتخلى إدارة بايدن عن أي خطة لضم أوكرانيا إلى عضوية الناتو، وهو الطلب الذي تقول الولايات المتحدة إنه يعقِّد أي محاولة للتوصل إلى حل وسط، وقد أكد أنتوني بلينكن، وزير الخارجية الأمريكي، في تصريحات له مؤخراً، أنَّ طلب موسكو غير مقبول لدى الولايات المتحدة وشركائها في الناتو. وفي غضون ذلك، ستكون للصراع الأوكراني تداعيات لا تتوقف على الأوضاع بالشرق

الأوسط والمحادثات الجارية في فيينا. وإذا كانت موسكو تُدرك أن عواقب فشل المفاوضات في فيينا قد تكون فادحة، فإنها قد تواصل إقناع طهران بالتنازل عن بعض مطالبها، لكن إذا احتدم الوضع في أوكرانيا، فإن روسيا قد تتنازل عن رغبتها في دفع إيران نحو التوصل إلى حل وسط . ويبدو أن الخلاصة هي أنه حتى وإن لم تعد الولايات المتحدة تمتلك نفوذها السابق في منطقة الشرق الأوسط، فإن مسار العلاقات الأمريكية–الروسية يظل حاسماً لآفاق صنع السلام في الشرق الأوسط والمناطق المضطربة الأخرى من العالم.

8 – إسرائيل وتطورات الأزمة:

ككرة الثلج تتدحرج الأزمة الأوكرانية حيث حصلت تظاهرات فمواجهات مع القوى الأمنية وسقوط قتلى ثم توسع سيطرة المعارضين لحكم الرئيس المقرّب من روسيا فيكتور يانوكوفيتش وصولا إلى عزله وتغيير الوجه السياسي للبلد. وكما في كل المفاصل التاريخية في أوكرانيا، لم تقتصر الأزمة على نزاع داخلي فحسب، بل توسعت لتصل إلى ما يبدو أنها أزمة دولية ناشئة بين روسيا من جهة، والولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي من جهة أخرى.

لقد اندلعت التظاهرات في تشرين الثاني/نوفمبر 2021 بدءا من كييف، بعدما رفض الرئيس الأوكراني يانوكوفيتش اتفاقية تؤمن المزيد من التقارب الاقتصادي مع الاتحاد الأوروبي لصالح التقارب مع روسيا. لكن للأزمة جذورها. فأوكرانيا بلد متعدد الإثنيات

والأعراق والأديان واللغات. وهو منقسم بين شرق يتكلم سكانه الروسية ويرون في روسيا بلدهم الأم، ويانوكوفيتش واحد من هؤلاء، وبين غرب يتكلم اللغة الأوكرانية ويدعو إلى الانضمام لأوروبا. فالانقسام إذاً سياسي ثقافي اقتصادي ويجد عمقه في أزمة الهوية التي يعيشها البلد الذي نال استقلاله في عام 1991 بعد سقوط الاتحاد السوفياتي السابق. ويعتبر محللون أن أوكرانيا هي التي تصنع صورة روسيا كقوة عظمى وهي أيضا التي تكسر هذه الصورة، ويضيفون أن روسيا من دون أوكرانيا هي مجرد بلد بينما روسيا مع أوكرانيا هي إمبراطورية.

اسرائيل من جهتها، التي تسير على "حبل دقيق" في إطار علاقاتها مع كل من أوكرانيا وروسيا، على حد وصف القناة "كان 11"، تحاول إظهار الدعم للأولى وعدم إغضاب موسكو، الأمر الذي يفسر امتناع المسؤولين في إسرائيل عن التطرق علنا إلى هذه القضية. وفي السنوات الأخيرة، حسبما ذكرت القناة فإن العلاقات بين إسرائيل وأوكرانيا تعززت بشكل كبير، وأضافت أنه "من المتوقع أن يقوم الرئيس الأوكراني، زيلينسكي، بزيارة إسرائيل خلال العام الجاري، وافتتاح مكتب تمثيلي رسمي لأوكرانيا في القدس" المحتلة .

من ناحية اخرى ذكرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، في سياق تحليلها للازمة الاوكرانية أن تل أبيب تستعد لإجلاء آلاف اليهود الأوكرانيين، في حالة اندلاع حرب تلوح في الأفق بين روسيا وأوكرانيا. وأوضحت أن ممثلي هيئات مختلفة في إسرائيل قد ناقشوا، خلال اجتماع لهم، إمكانية إجلاء الآلاف من اليهود في أوكرانيا، إن

تعرضت لغزو روسي. ومن بين هذه الهيئات، مكتب رئيس الوزراء وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووزارة الشتات والوكالة اليهودية. وقالت "هآرتس" إن حوالى 75 ألف شخص يعيشون شرقي أوكرانيا، المنطقة الأكثر تعرضاً للتهديد في حال اندلاع النزاع، مشيرة إلى أن هؤلاء مؤهلون للحصول على الجنسية الإسرائيلية. وأوضحت أن الدولة العبرية تمتلك خططا منذ فترة طويلة للإجلاء الجماعي لليهود من شتى البلدان، إذا اقتضت الحاجة، مشيرة إلى أنه جرى تحديث الخطط الخاصة بأوكرانيا بسبب التوترات المتزايدة هناك.

صحيح أن إسرائيل بعيدة جغرافيا عن مسرح الأزمة الروسية الأوكرانية في أوروبا إلا إنها تتابع تطوراتها بقلق وتخشى مآلاتها وانعاكساتها . وليس من المبالغة في شيء إن قلنا أن إسرائيل واقعة بين المطرقة والسدان فيما يتعلق بهذه الأزمة وتعتبرها مأزقا حقيقيا لها وتهديدا لأمنها القومي . فهي منذ بداية الأزمة تحاول أن تقف على الحياد وتسعى، في السر والعلن، إلى القيام بدور الوساطة بين أطراف الأزمة (روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو والولايات المتحدة) لمساعدتهم على النزول من الشجرة العالية من خلال حل الأزمة بالطرق السلمية قبل أن تتدهور الأوضاع نحو التصادم العسكري. وفي حال افتراض حصول غزو روسي لاوكرانيا فلن تستطيع إسرائيل الوقوف على الحياد وستكون مطالبة بتحديد موقفها وحينها ستختار الاصطفاف إلى جانب حليفتها الاستراتيجية الولايات المتحدة .

بالطبع لن يكون التدخل الإسرائيلي عسكريا فجاً وإنما لوجستيا من الناحية الاقتصادية، وفي مثل هكذا سيناريو، فان أقل شيء ممكن أن تفعله الولايات المتحدة ودول حلف شمال الأطلسي "الناتو" هو فرض عقوبات شديدة على روسيا، الأمر الذي من شأنه أن يدفع بروسيا إلى الرد على تلك العقوبات بوقف إمداد أوروبا بالغاز الطبيعي، وهنا يأتي دور إسرائيل بسد الفجوة من خلال نقل صهاريج من الغاز الطبيعي عن طريق البحر المتوسط مرورا باليونان وصولا إلى باقي أوروبا ومن ثم الولايات المتحدة، الامر الذي سيجعل روسيا تتخذ من إسرائيل موقفا عدائيا، مما سينعكس استراتيجياً على التعاون بينهما في الشرق الأوسط وخصوصًا في الساحة السورية، حيث إن روسيا تسيطر على المجال الجوي في سوريا وبالتالي سيكون من المعقد جدا على إسرائيل توجيه ضربات جوية للأهداف الإيرانية في سوريا. ولربما العرض الجوي الذي قام به سلاح الجو الروسي مع سلاح الجو السوري فوق مرتفعات الجولان (بدون تنسيق مسبق مع إسرائيل)، كان المقصود منه إشارة تحذيرية من روسيا إلى إسرائيل بأن المجال الجوي السوري لن يكون متاحا أمام إسرائيل في حال أدت دورا يغضب روسيا في الأزمة الروسية الأوكرانية .

ان أبعاد السيناريو لا تقف عند هذا الحد، فقد يترتب عليه خلق أزمة داخل إسرائيل، إذ إن مساعدتها لحلف الناتو على حساب روسيا، وإن كان لوجستيا بنقل الغاز الطبيعي، سيثير غضب حوالي مليون إسرائيلي من أصل روسي على الحكومة الإسرائيلية، علما بأن هناك أيضاً إسرائيليين من أصل أوكراني يعيشون في "إسرائيل.

وما يزيد الطين بلة بالنسبة لإسرائيل، أنها تدرك جيدا أن هناك لاعباً آخر في الشرق الأوسط سوف يحاول استغلال تطورات هذا السيناريو، وهو إيران التي سيشكل لها السيناريو حافزا قويا للقيام بخطوات إلى الأمام في برنامجها النووي، لا سيما في ظل تعثر جولات المفاوضات بينها وبين الدول العظمى في فيينا، وهذا ما لا تريده إسرائيل . ولهذا فإن من مصلحة إسرائيل هي في انتهاء الأزمة الروسية الأوكرانية بطرق سلمية اليوم قبل غدا، لتفادي وقوع السيناريو السابق الذكر لما يترتب عليه من انعاكسات استراتيجية سلبية عليها.

لقد اعترفت أوكرانيا في العام 2020 بالقدس عاصمة لـ"إسرائيل"، وفتحت مكتباً للسّفارة فيها، وتخشى "إسرائيل" أن تتراجع أوكرانيا عن مواقفها، في حال لم تدِن التهديد الروسي الموجه إليها. كما نجحت "إسرائيل" في جلب مئات الآلاف من المهاجرين اليهود من أوكرانيا، وتعتبر الطبقة الغنية الأوكرانية "إسرائيلَ" من المناطق المفضّلة لديها على مستوى السياحة، كما شكّلت الأخيرة ملجأً للمعارضين الأوكرانيين الّذي هربوا إبان سيطرة روسيا على شبه جزيرة القرم في العام 2014، ما يعكس حجم التعاون الاستخباري بين أوكرانيا و"إسرائيل." وأفادت مصادر إسرائيليّة بأنَّ رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينيت، سعى لعقد لقاء قمة روسية أوكرانية، وذلك عندما زار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قبل نحو 4 أشهر، وهو العرض الذي قدّمه رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو، ورفضه بوتين في الحالتين. ويبدو أنّ العرض نُقل بتنسيق أوكراني إسرائيلي. وهكذا تتّضح من الموقف الإسرائيلي الرغبة

الإسرائيلية في الحفاظ على العلاقات الوثيقة مع طرفي الأزمة، والسعي للتوسط بينهما، وترى "إسرائيل" أنَّ اندلاع حرب بين الدولتين لن يكون في مصلحتها، وسيترك آثاراً سلبية فيها. لذلك تسعى "إسرائيل" للحفاظ على العلاقة الاستراتيجية مع حلف الناتو، وتعتقد أنَّ علاقتها بأوكرانيا متميّزة. وفي الوقت نفسه، لا تستطيع المخاطرة بالضرورة الاستراتيجية التي تتطلَّبها المصالح المرتبطة بروسيا، وستعمل على خفض التصعيد بين الجانبين، حتى لا تتطوّر إلى مواجهة عسكرية قد تضطرّ فيها إلى مساعدة حلفائها الأوروبيين بنقل الغاز إليهم عبر الصهاريج، ما سيغضب روسيا. وفي حال أحجمت "إسرائيل" عن مدّ أوروبا بالغاز خلال الحرب، ستغضب أوروبا. وفي كلا الحالتين، ستتأثر علاقة "إسرائيل" مع أحد الطرفين. لذا، فإنَّ السّلوك الإسرائيلي في هذه المرحلة يدفع باتجاه التهدئة ومنع نشوب الحرب والوساطة، من دون أن تتّخذ "إسرائيل" مواقف تدعم الروس أو الأوكرانيين أو تدينهم. وفي حال تطوَّر الموقف إلى حرب بينهما، فستسعى لحدّ أدنى من الخسائر، لكنَّها ستكون أحد الأطراف التي ستنعكس عليها الأزمة، وستسعى لاستثمار الحرب، في حال حدثت، لاستجلاب اليهود من أوكرانيا إلى "إسرائيل."

على الصعيد الاوكراني قال وزير الخارجية الأوكراني، دميتري كوليبا، إن بلاده معنية بالحصول على تكنولوجيا إسرائيلية في مجال الدفاع الجوي، في تصريحات تأتي في خضم الأزمة المتصاعدة بين كييف وموسكو واتهامات الغرب لروسيا بالإعداد لغزو أوكرانيا. وقال كوليبا، في حديث لهيئة البث الإسرائيلية ("كان 11"): "نحن معنيون

بتعاون عميق مع إسرائيل فيما يتعلق بالتكنولوجيا الدفاعية، لاسيما في مجال الدفاع الجوي". وأضاف أن "أي جهود دبلوماسية يمكن أن تلعبها إسرائيل للتوسط بين بلاده وروسيا ستكون محل ترحيب في كييف ." وفي هذا السياق، ذكرت هيئة البث الإسرائيلية ("كان 11")، أن أوكرانيا "كانت قد أبدت مؤخرا وفي أكثر من مناسبة اهتماما بشراء منظومة الدفاع الجوي الإسرائيلية (القبة الحديدية) وكذلك بأنظمة إنذار تنتجها إسرائيل." وأضافت أن "مباحثات جرت مؤخرا بين حكومتي إسرائيل وأوكرانيا بهدف مساعدة كييف في تطوير أنظمة الحرب الإلكترونية تحسبا لشن روسيا هجمات جديدة من هذا النوع على أوكرانيا."

في السنوات الأخيرة، حسبما ذكرت القناة "كان 11"، تعززت العلاقات بين إسرائيل وأوكرانيا بشكل كبير، وأضافت أنه "من المتوقع أن يقوم الرئيس الأوكراني، زيلينسكي، بزيارة إسرائيل خلال العام الجاري، وافتتاح مكتب تمثيلي رسمي لأوكرانيا في القدس" المحتلة.

من ناحية أخرى ذكرت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية، في سياق تحليلها للازمة الاوكرانية أن تل أبيب تستعد لإجلاء آلاف اليهود الأوكرانيين، في حالة اندلاع حرب تلوح في الأفق بين روسيا وأوكرانيا. وأوضحت أن ممثلي هيئات مختلفة في إسرائيل قد ناقشوا، خلال اجتماع لهم، إمكانية إجلاء الآلاف من اليهود في أوكرانيا، إن تعرضت لغزو روسي. ومن بين هذه الهيئات، مكتب رئيس الوزراء وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووزارة الشتات والوكالة اليهودية.

9 – خلاصة:

كانت أوكرانيا جزءاً من الإمبراطورية الروسية لعدة قرون قبل أن تصبح جزءاً من الاتحاد السوفياتي، وعندما تفكك الاتحاد السوفياتي مع نهاية الحرب الباردة في عام 1991، أصبحت أوكرانيا مستقلة. وعلى الرغم من أن تاريخ أوكرانيا وروسيا المشترك يعني أن الاثنتين لا تزالان مرتبطتين ثقافياً، إلا أن أوكرانيا سعت إلى النأي بنفسها عن روسيا في السنوات الأخيرة، وبدلاً من ذلك تتطلع كييف إلى الغرب للحصول على الدعم، فيما اعتبرت روسيا أن أوكرانيا «خسارة فادحة» لها. ومع صعود فلاديمير بوتين إلى السلطة، سعى الكرملين إلى استعادة نفوذه والسيطرة على مناطقه السابقة، وبدأ هذا بمقاربة أكثر دقة في مطلع عام 2000، ولكن عندما تمت الإطاحة بمرشح بوتين المفضل في الانتخابات الأوكرانية لعام 2004 وهو فيكتور يانوكوفيتش وسط احتجاجات «الثورة البرتقالية» في كييف، بدأت الأمور تتغير، ومع صعود نجم مرشح المعارضة الموالية للغرب فيكتور يوشينكو، أصبح نهج بوتين أكثر " عدوانية". وبلغت ذروة «العدوانية» الروسية بضم موسكو لشبه جزيرة القرم الأوكرانية في عام 2014. وتمكن يانوكوفيتش من الوصول إلى السلطة بعد خمس سنوات من يوشينكو في عام 2010 وعمل لمدة أربع سنوات، لكن عندما رفض الرئيس المدعوم من الكرملين اتفاقية شراكة مع الاتحاد الأوروبي لصالح تعزيز العلاقات مع موسكو، كانت هناك احتجاجات ضخمة وأُطيح به. وكان رد روسيا هو ضم شبه جزيرة القرم

وإعلانها مستقلة عن أوكرانيا. كما أرسلت موسكو قوات إلى منطقتي دونيتسك ولوهانسك الأوكرانيين – وهي منطقة تُعرف باسم دونباس– لدعم المتمردين الذين كانوا يحاولون الانفصال عن البلاد. وأدى القتال في دونباس، بالقرب من الحدود الروسية، إلى مقتل أكثر من 14 ألف شخص منذ عام 2014، حسبما أشار تحليل لشبكة «سكاي نيوز» البريطانية.

وفي محاولة لإنهاء الصراعات الكبرى، قادت فرنسا وألمانيا اتفاقية سلام بين الجانبين في عام 2015 لكنها فشلت في توحيد الجانبين سياسياً واستمرت التوترات على نطاق صغير منذ ذلك الحين. وفي أوائل عام 2021 كانت هناك حوادث متزايدة لخرق وقف إطلاق النار لعام 2015، مما أثار مخاوف من اندلاع حرب، لكن في أبريل (نيسان) العام الماضي، سحبت موسكو معظم قواتها وخفّت حدة التوترات. ويوجد حالياً نحو 100 ألف جندي روسي متمركزين في نقاط مختلفة على طول الحدود الأوكرانية التي يبلغ طولها 1200 ميل. وزعم مسؤولو المخابرات الأميركية أن روسيا تخطط لنشر ما يصل إلى 175 ألف جندي استعداداً لغزو محتمل قد يحدث في وقت مبكر من هذا العام. ويتركز معظم الوجود العسكري الروسي على الحدود في المقاطعتين الشرقيتين الانفصاليتين دونيتسك ولوهانسك (دونباس) حيث يتمركز جنودها لدعم المتمردين الانفصاليين منذ عام 2014، كما كان هناك أيضاً وجود عسكري كبير في شمال أوكرانيا في مناطق مثل كلينتسي وبيلنيا. وكشفت صور عبر الأقمار الصناعية أيضاً عن نشاط عسكري روسي في مناطق شمال شرق الحدود

الأوكرانية. وأظهرت صور الأقمار الصناعية من يلنيا، المتاخمة أيضاً لبيلاروسيا، في نوفمبر (تشرين الثاني) 2021 أن روسيا تزيد من وجودها العسكري، الأمر الذي أثار مخاوف من اندلاع حرب، نظراً لموقعها الاستراتيجي بالقرب من العاصمة الأوكرانية كييف. ولا يزال عشرات الآلاف من القوات الروسية متمركزين داخل أراضي شبه جزيرة القرم التي تم ضمها، حيث كشفت صور عبر الأقمار الصناعية عن عمليات انتشار كبيرة لقوات هناك في نوفمبر/ تشرين الاول من العام الماضي. وأعرب مسؤولون أوكرانيون مراراً وتكراراً عن مخاوفهم بشأن الوجود الروسي على الحدود، بينما يصر الكرملين على أنه مجرد "تدريب عسكري".

بعد صعود بوتين إلى السلطة في عام 2000، سعى إلى الحفاظ على «دائرة النفوذ» الروسية على أوكرانيا وبيلاروسيا، إذ ينظر الرئيس الروسي إلى أي هجوم على أي من الدولتين على أنه هجوم مباشر على السيادة الروسية. وتبين ان بوتين يخشى أن يؤدي تورط الغرب في الدولتين، أوكرانيا وبيلاروسيا، إلى قيام ديمقراطية جديدة على أعتاب روسيا، مما دفع موسكو إلى إصدار «قائمة مطالب» من شأنها أن تقلل من النفوذ الغربي في المنطقة، منها ألا تصبح أوكرانيا أبداً عضواً في حلف شمال الأطلسي «الناتو»، وأن الطرفين ينهيان تحالفهما الأمني، وتقليص أعداد قوات «الناتو» في أوروبا الشرقية. ووصفت الولايات المتحدة وحلفاء غربيون آخرون مثل هذه المطالب بأنها "غير مشجعة وغير معقولة على الإطلاق". وفي محاولة لتهدئة التوترات، شارك وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن في محادثات الأزمة مع

المسؤولين الروس، بمن فيهم وزير الخارجية سيرغي لافروف، وحتى الآن، أشار الغرب إلى أنه سيكون على استعداد لمناقشات أكثر مرونة حول كيفية إجراء التدريبات العسكرية داخل المنطقة وموقع الصواريخ.

المراسل العسكري لصحيفة "معاريف"، طال ليف رام، قال إن إسرائيل تتابع عن كثب التطورات المرتبطة بالأزمة الأوكرانية، مضيفاً أنها تخشى من تداعيات سلبية لأي مواجهة محتملة بين روسيا والولايات المتحدة قد تمتد إلى الملف النووي الإيراني والنشاط الإسرائيلي في سورية. وبحسب ليف رام، فإن من شأن اشتعال المواجهة الأميركية الروسية أن يزيد من تهميش واشنطن لأهمية منطقة الشرق الأوسط، مما سينعكس سلباً على الملف النووي الإيراني، ويمنح إيران بالتالي وقتاً ثميناً للمضي قدماً في برنامجها النووي، وسط تغيير محتمل أيضاً في الموقف الروسي من هذا الملف. وحذر من احتمال إخضاع روسيا لموضوع المصالح الإسرائيلية في المنطقة، ولا سيما الملف النووي الإيراني، لمصالحها في أوكرانيا، والتلويح للولايات الأميركية بهذه الورقة. كذلك اعتبر ليف رام أن المؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية تخشى من أن تبدل روسيا موقفها الحالي في كل ما يتعلق بالحرية التي تتحلى بها إسرائيل في تنفيذ هجمات برية وجوية في سورية لصد التموضع الإيراني، معتبراً أن المناورة الجوية المشتركة التي قام بها الروس أخيراً في أجواء الجولان سوية مع طائرات الجيش السوري "هي واحدة من رسائل روسية محتملة" في هذا الإطار.